

# نوال السعداوي لـ «العرب»: كلينتون شجعت على انتخاب الإخوان

## المرأة عربية كانت أم غربية لم تتحرر بعد من سلطة المجتمع الأبوي



متمردة مصرية حاربت الذكورية والتطرف بالعلم والقلم

ونفوذ عمدة القرية الذي يسرق قوت أهلها، لترسخ في ذهنها عبارة لا تزال تحفظها بأن «الله هو العدل.. وعرفوه بالعقل».

والدها خريج الأزهر كان يخبرها بأن الله ليس كتاباً تتّم طباعته، لكنه في الوقت نفسه كان يفرض في المعاملة بينها وبين شقيقها لكونه نكراً فيمنحه ضعف ما يمنحه لها رغم تفوقها في الدراسة ورسوب شقيقها المستمر، فكتبت حينها أول رسالة تمرد لطفلة غاضبة تحولت إلى منهج حياة لمكافحة القهر.

**الحكومة المصرية الحالية لا تحارب المتشددین بالجدية الكافية طالما تسمح بأن يبقى السلفيون في المشهد**

ولفتت الكاتبة، التي تعتبر صفحاتها الرسمية على فيسبوك وتضم نحو 196 ألف متابع جسرًا للتواصل بينها وبين قرائها وتحظى منشوراتها ومقالاتها باهتمام وتفاعل إيجابي كبير بين الشباب، إلى أنها كانت حريصة على متابعة كل التفاعلات والتعليقات والمناقشات، لكنها توقفت عن ذلك بسبب متاعبها في بصرها.

وأكدت السعداوي أن تعلق الشباب بما تتعب وتفاعلهم الإيجابي يمنحها أملاً تعيش على نفاثته، في مواجهة من اغتالوها أديبا ومعنويا عبر مهاجمتها باستمرار وإشاعة أخبار كثيرة حول وفاتها.

تحظى الناشطة النسوية بتقدير بالغ في دول المغرب العربي، خاصة تونس والمغرب، وبسرت ذلك بأن المغرب فيها فلاسفة من النساء والرجال نظرا لقربها الجغرافي من أوروبا وحركة الترجمة النشطة وإتقان اللغات الأجنبية، كالفرنسية فهي تمكنهم من التعرف على المعارف والثقافات الأخرى.

لم تكن نوال السعداوي يوما منعزلة عن محيطها ولم تتعب النظرة النخبوية الفوقية في الأبراج العاجية، بل كانت مشاركة وفاعلة في كثير من الأحداث الصغيرة وتنتسب مع واقعها في الريف أو الحضر وتتواصل مع الجماهير، وتطالب بمنح الشباب والأجيال الصغيرة قدرا من الحرية للتعبير عن أفكارهم ومطالبهم، وأن يحترم قادتهم عقولهم، فالشباب والأطفال أذكىء بالفطرة ولا يمكن نيل نقتهم إلا بالعقل.

وأعبر به عن أساة الفقراء والنساء والعبيد، وأقول إنني أحترم الإنسان ولا أحنى للسلطان مهما كان».

أكدت أن الأديان والعادات والتقاليد تمثل سطوة على المجتمع عموما، والمرأة خصوصا، ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر. والمهم أن يتجاوز العقل البشري هذه السطوة، فمعظم المفكرين العلمانيين في مصر يكتبون نقدا للأديان وسرعان ما يعودون إليها، فالدين متجدد في أفكارهم خشية فقدان مكتسبات أو مناصب.

واسترجعت ذكرياتها أثناء ثورة 25 من يناير 2011 في ميدان التحرير حينما ظهر أصحاب الذقون الكثيفة والحصى الطويلة في ميدان التحرير والذين لم يعرفهم المصريون إلا بعد الثورة بتشجيع من بعض الجهات لمنطقة الإخوان.

وقالت إن الأميركيين والراسمالية العالمية ونظام الرئيس الأسبق حسني مبارك شجعوا السلفيين لضرب الثورة المصرية في مقتل، مؤكدة على أنها شاهدت بعينها وزيرة الخارجية الأميركية هيلاري كلينتون في ميدان التحرير للبحث على انتخاب الإخوان والسلفيين، «قلت ذلك في أحد المؤتمرات الدولية في السويد وتعرضت لهجوم بالغ».

### تمرد منذ الصغر

تحمل نوال السعداوي جينا ثوريا ومنتسدا ورثته عن والدها الذي كان ممن ناروا ضد الاحتلال البريطاني لمصر وشارك في ثورة 1919، وكعقاب له تم نقله إلى قرية صغيرة في شمال القاهرة وحرّم من الترقية لمدة 10 سنوات، وجذبتها التي لم تعرف القراءة والكتابة قادت تمردا في قريتها «كفر طلحة» في محافظة القليوبية المتاخمة للقاهرة ضد سياسات العمدة الذي عمّد إقرار أهلها.

وكتشفت أن أسرته هي السبب فيما وصلت إليه جذتها، حيث واجهت سطوة

لم تكن هذه هي الأزمة الأولى التي تتعرض فيها للهجوم، فقبلها منعت السلطات المصرية توزيع كتابها «المرأة والجنس» الذي ربط ختان الإناث بالمشاكل الجنسية والقمع السياسي وتردّي الوضع الاقتصادي، وتعرضت قبل ذلك للفصل من عملها في وزارة الصحة بسبب آرائها الجريئة أيضا.

### أمراض لا يداويها الطب

تعرضت بعض مؤلفاتها للحظر مثل «أوراق من حياتي» و«سقوط الإمام» والأخير تمت ترجمته لأكثر من 10 لغات واتسم بالرمزية السياسية والمقصود بالإمام، هو الزعيم السياسي الذي يستخدم الدين ويوظفه لأغراض خاصة به، مثلما فعل الرئيس الراحل محمد أنور السادات.

هجرت السعداوي مهنة الطب بعدما رأت أن الناس تمرض بسبب الفقر والجوع والجهل والقهر وليس في الطب أدوية لتلك الأمراض، وقالت «لم يبق لي من سلاح إلا القلم أدافع به عن نفسي وحرية الإنسان في كل مكان».

بعض مؤلفات السعداوي تعرضت للحظر مثل «أوراق من حياتي» و«سقوط الإمام» الذي تمت ترجمته لأكثر من 10 لغات واتسم بالرمزية السياسية والمقصود بالإمام الزعيم السياسي الذي يوظف الدين

والاجتماعي والثقافي الذي تعيش مصر تداعياته إلى اليوم.

تخرجت من كلية الطب جامعة القاهرة عام 1954. وغادرت في الثمانينات إلى الولايات المتحدة، بعدما استهدفتها متشددون عبر قضايا الحسبة للفرق بينها وبين زوجها الكاتب والناشط السياسي المصري شريف حتاتة (1923 - 2017) واتهامها بازنداء الأديان ووضعها الجماعات الإرهابية على رأس قائمة الإغتيالات إلى جانب دعوات لسحب الجنسية منها، والتحرير على قتلها وتطبيق حدّ الردة.

تذكر السعداوي حين رشحت نفسها ككفيلة للأطباء بمصر وتعرضت لهجوم وتطاول جماعة الإخوان المسلمين في بلد قنست حضارته القديمة المرأة، وجعلتها إلهة مثل «إيزيس» ورمزا للعدل والحق والأسلام» في توطؤ واضح بين الحكومة وجماعة الإخوان.

ومثلما ترفض نوال السعداوي وتعادي المتأخرين بالدين والجماعات المتطرفة، ترفض وتعادي أيضا من تسميهم بـ«تجار العلمانية». وأعلنت الحرب على الطرفين. ففي كتبها تشدد دائما على إيراكها التناقضات التي تقع فيها سلطة الدولة والدين فيما يخص الأحكام أو القوانين، فسلطة الدولة لم تنفصل عن السلطة الدينية في عصر من العصور، ولا في بلد من بلاد العالم، والحديث عن فصل الدين عن الدولة أكلوبة.

وتعتبر أن هناك انحرافا شديدا عن قضية المرأة الرئيسية باختزال همومها في أخبار الأزياء والطبخ ومساحيق التجميل، وينسحب الانحدار إلى اللغة والحياة الفنية والثقافية بفعل دخيلات يطلقن على أنفسهن لقب «فيمبست» أو نسويات ما جعلها تشعر بغربة حقيقية مع التراجع في الفارق الثقافي والفكري بين أجيال النساء المتتالية، وتحول الحركة النسوية إلى حالة نخبوية وتصدرتها شخصيات ضحلة الفكر وسطحية الهدف.

وأشارت السعداوي في حديثها إلى أن المرأة سواء أكانت عربية أم غربية لم تتحرر بعد من كنف المجتمع الطبقي الأبوي العبودي. وتجربتها في الإقامة بالولايات المتحدة 20 عاما درست خلالها في العديد من الجامعات وألفت مادة بعنوان «علاقة التمرد بالإبداع»، أثبتت أن جذور القهر الذكوري واحدة، والفارق فقط في أن المرأة الغربية تعيش وضعا اقتصاديا أفضل.

### تحالف مريب

لكن، رغم إشداتها بأغلب الأسماء النسائية المكرّمة، لم تستحسن الكاتبة المصرية ورود بعض أسماء زوجات الرؤساء ضمن النساء الأكثر تأثيرا في المئة عام الماضية، واعتبرته نوعا من الإجحاف وتكريسا للنظام الطبقي الأبوي العنصري، فقيمة المرأة من نضالها وتضحياتها، ولا تنبع من مناصب سياسية والقاب ولا من مكانة زوجها، وقالت «يشرفني أن تكون معي على قائمة مجلة تايم فنانة مثل مارلين مونرو أكثر من ميشيل أوباما».

ثم عادت للحديث عن الحركة النسوية المصرية التي وصفتها بالمتينة في ظل التراجع الشديد الذي تشهده بفعل الخوف العام من جهة، والرغبة في الكسب والمتاجرة بقضية المرأة من جهة ثانية، فالمسؤولون عنها من «عبيد الوظيفة الحكومية يخشون عدم الترتي أو العزل من مناصبهم، والقضية لا تتعدى مجرد تجارة من قبل بعض رموز الحركة النسائية والعلمانيين».

وقالت السعداوي إن السلطة السياسية في دول كثيرة تحالف مع الجماعات الدينية. وتذكر كيف تعرضت «جمعية تضامن المرأة العربية» التي أسستها في العام 1982 تحت شعار «رفع الحجاب عن العقل»، للاستهداف الحكومي خلال عهد الرئيس الراحل حسني مبارك، وتم إغلاقها ومصادرة أموالها وتحويلها إلى جمعية «نساء الإسلام» في توطؤ واضح بين الحكومة وجماعة الإخوان.

ومثلما ترفض نوال السعداوي وتعادي المتأخرين بالدين والجماعات المتطرفة، ترفض وتعادي أيضا من تسميهم بـ«تجار العلمانية». وأعلنت الحرب على الطرفين. ففي كتبها تشدد دائما على إيراكها التناقضات التي تقع فيها سلطة الدولة والدين فيما يخص الأحكام أو القوانين، فسلطة الدولة لم تنفصل عن السلطة الدينية في عصر من العصور، ولا في بلد من بلاد العالم، والحديث عن فصل الدين عن الدولة أكلوبة.

وتعتبر أن هناك انحرافا شديدا عن قضية المرأة الرئيسية باختزال همومها في أخبار الأزياء والطبخ ومساحيق التجميل، وينسحب الانحدار إلى اللغة والحياة الفنية والثقافية بفعل دخيلات يطلقن على أنفسهن لقب «فيمبست» أو نسويات ما جعلها تشعر بغربة حقيقية مع التراجع في الفارق الثقافي والفكري بين أجيال النساء المتتالية، وتحول الحركة النسوية إلى حالة نخبوية وتصدرتها شخصيات ضحلة الفكر وسطحية الهدف.

وأشارت السعداوي في حديثها إلى أن المرأة سواء أكانت عربية أم غربية لم تتحرر بعد من كنف المجتمع الطبقي الأبوي العبودي. وتجربتها في الإقامة بالولايات المتحدة 20 عاما درست خلالها في العديد من الجامعات وألفت مادة بعنوان «علاقة التمرد بالإبداع»، أثبتت أن جذور القهر الذكوري واحدة، والفارق فقط في أن المرأة الغربية تعيش وضعا اقتصاديا أفضل.

### فترة السادات

تعرضت نوال السعداوي خلال فترة حكم محمد أنور السادات إلى الاعتقال. لكن مؤاخذتها على حكم السادات تعود إلى سياساته التي ترى أنها تسببت في الانحدار السياسي والاقتصادي

اختارت مجلة تايم الأميركية الكاتبة المصرية نوال السعداوي ضمن أهم 100 امرأة كان لهنّ تأثير على مدار قرن كامل، وذلك لجهودها في مجال الدفاع عن قضايا تحرر المرأة ومجابهة سطوة التيارات المتشددة. والتقت «العرب» نوال السعداوي في حوار بدأ بالحدث عن التكريم، وتشعب ليصل إلى المعارك التي خاضتها السعداوي ضد السياسيين ورجال الدين وكل من رأى في أفكارها تهديدا. ورغم معاناتها من المرض لا تزال السعداوي تحتفظ بذاكرة حديدية، وتذكر كيف تم استهدافها بسبيل من قضايا الحسبة وإسقاط الجنسية بسبب مؤلفاتها وأفكارها.



هبة ياسين  
كاتبة مصرية

القاهرة - على فراش مرض عضال يعوقها عن الحركة تلتقت نوال السعداوي نبا اختيار مجلة تايم الأميركية لها ضمن أكثر 100 امرأة مؤثرة في العالم على مدى مئة سنة. واعتبرت المجلة هذا التكريم، الذي جاء بمناسبة اليوم العالمي للمرأة، تذكيرا بسيطا برحلة المعارك التي خاضتها السعداوي دعما لقضايا المرأة، وفي مواجهة توظيف الدين وارتباطه بالسياسة وعدم الاعتراف بالسلطة الذكورية وكل الممارسات المجتمعية التي تحجر على الفكر وحرية العيش والتعبير.

ظهرت السعداوي على غلاف تايم بشعرها الأبيض وبشرتها السمراء وملامحها الحادة المتصدرة، نقلت عن صورة شهيرة لها تعود إلى عام 1981، حين تعرضت للسجن في خضم معركة ضد شيوخ الدين بسبب ختان الإناث. واتخذت الكاتبة، التي خضت «العرب» حوار كسرت به اعتزالها الأحاديث الصحافية منذ سنوات، من محاربة ختان الإناث ومختلف الممارسات التي تقع المرأة، طفلة وشابة، وزوجة وأما، معركة وجودها التي لم تتأثر لا بالسجن ولا بفتاوى التكفير والتهديدات.



نوال السعداوي في تعليقها على اختيارات مجلة تايم لأكثر مئة شخصية نسائية تأثيرا على مدى قرن «يشرفني أن تكون معي على قائمة مجلة تايم فنانة مثل مارلين مونرو»

لم تفقد السعداوي، التي ضعفت قوة بصرها بسبب تشخيص طبي خاطئ وتعرضت قدامها لكسر يمنعتها من الحركة منذ عام كامل، قوة شخصيتها المبهودة، فعقلها يدب بالأفكار وقلمها لا يتوقف عن التعاطف مع المرأة في أي مكان، وأعينها ترى بعدا أعمق من الشكل التقليدي للحروف التي أفتت عمرها من أجلها وصاحبيتها في رحلة طويلة. ولا تزال المعركة الأهم للكاتبة التسعينية هي الدفاع عن حياتها كامرأة وكاتبة، ولا تزال تقحم أعشاش الدبابير بكسر تابوهات الدين والجنس والسلطة السياسية، دون مواءمات أو إملاعات وبأسلوب مباشر لا يحمل التباسا.

قالت السعداوي، التي أخذت وقتا تستشف فيه شخصية محاورتها وتستطلع توجهاتها قبل أن تنطق بكلمة، إنها تلتقت تكريما من كبرى جامعات العالم التي تدرس مؤلفاتها البالغ عددها نحو 80 كتابا وتمت ترجمتها إلى أربعين لغة، باستثناء بلدها مصر الذي لم يكرمها يوما، رغم أنها أفتت سنوات من عمرها في الحركة النسائية والدفاع عن حقوق المرأة وخسرت أموالها ولم تفكر في المتاجرة بمهنتها كطبيبة أو كاتبة، ولم تكن سوى التجاهل.

وصممت المجلة الأميركية 100 غلاف تصدّرت كل منها صورة امرأة غيرت وجه التاريخ، من هؤلاء النساء، الكاتبة

